General Foundations for Understanding the Qur'anic Text: An Analytical Study

Asst. Prof. Dr. Riyadh Abdulrahim Hussein
University of Basrah / College of Education – Qurna
E- mail: riad.hussain@uobasrah.edu.iq

Abstract:

In recent times, numerous calls have emerged advocating for re-readings of the religious text, alongside the rise of various linguistic schools that have contributed significantly to this field—owing to the advances in linguistic sciences in particular, and the humanities in general.

The religious text has long occupied a central position in intellectual discourse, beginning with the early stages of revelation and the evolving approaches to its interpretation. This has given rise to a range of inquiries, some of which seek to neutralize religious discourse, developing frameworks centered on the conceptual and terminological dimensions of religious texts. Others have focused on broader epistemological questions, such as: What constitutes a religious text? What is the nature of a modern or contemporary reading? And what are the foundational principles that guide our understanding of religious texts in general, and the Qur'an in particular?

To arrive at a sound exegetical understanding of the Qur'anic text, it is essential to rely on these guiding foundations—principles that enable access to its meanings, implications, and interpretive frameworks. This study therefore focuses on the Qur'anic text specifically, and seeks to clarify the general foundations that should direct our engagement with it, particularly given its nature as a linguistic text imbued with divine laws that govern the trajectory of human development at both the individual and societal levels.

As the speech of the Creator, preserved by His divine will, the Qur'an stands beyond the speech of all creatures. It is safeguarded by the truth of the verse: "Indeed, it is We who sent down the Reminder, and indeed, We will be its guardian" (Qur'an 15:9).

Keywords: foundations, general, understanding, text, Qur'an.

الأسس العامة لفهم النص القرآني دراسة تحليلية

أ.م.د. رياض عبد الرحيم حسين
جامعة البصرة / كلية التربية/ القرنة
E-mail: riad.hussain@uobasrah.edu.iq

الملخص:

كثُرت الدعوات اليوم إلى قراءة النص الديني، وبرزت عديدٌ من المدارس اللغوية في هذا المجال ذلك بما وصلت إليه العلوم اللغوية خاصةً ، والعلوم الإنسانية بصورةٍ عامة.

فموضوع النص الديني يحتل الصدارة و الاهتمام منذ بدايات نزول النص وكيفية التعامل معه.

فبرزت بذلك أسئلةٌ عديدةٌ محاولةً تحييد الخطاب الديني بصورةٍ عامة فجعلت محورًا خاصًا مهتمًا بالمفاهيم والمصطلحات الدينية.

وآخر تناولت المفاهيم العامة للنص الديني. متسائلةً عن ماهيَّة النص الديني وما القراءة المعاصرة أو الحديثة له ؟ وعن الأسس الموجَّهة لفهم النص الديني بصورةٍ عامة، و القرآني بصورةٍ خاصة.

فإذا ما أردنا الوقوف على مضامينه الحقيقية و فهمه بصورةٍ تفسيريةٍ صحيحة، فلا بد من الاتكاء على تلك الأسس الموجَّهة لفهمه والوقوف على مضامينه وتأويلاته.

لذا جاء بحثنا هذا متناولًا النص القرآني، موضحًا الأسس العامة الموجَّهة لفهمه، كونه نصًا لغويًّا، يحمل بين طياته كثيرًا من القوانين المنظمة لمسيرة الإنسان التكاملية، على مستوى الفرد، والقواعد المنظمة لحركة المجتمع البشري، فهو كلام الخالق، فوق كلام المخلوقين، المحفوظ بحفظه تعالى، وهو القائل : (إنَّا نحن نزَّلنا الذِّكرَ و إنَّا له لحافظون)[1].

الكلمات المفتاحية: الأسس – العامة – الفهم – النص – القرآن.

[1] . الحجر /٩

المقدمة:

علم التفسير، من العلوم المهمة التي وقف عندها المسلمون، منذ عصر النزول وعصر الصحابة والتابعين،.. ولهذا العلم قواعد و أسس يعتمدها المفسر في فهمه لهذا النص المبارك ، وبما أن قواعد هذا العلم متداخلةٌ مع بعض أصول العلوم الأخرى مثل علم الحديث، وعلوم اللغة، و أصول الفقه، كان لزامًا أن نعتمد الأسس الأصيلة ذات الأثر الواضح في بيان القرآن الكريم .كي نميِّز بين أسس فهم النص القرآني كونه نصًا إلهيًّا نزل على صدر النبي الخاتم(ص) وغيره من النصوص البشرية، فما لم ندرك أن القرآن وحيٌ إلهيٌّ، نزل لهداية البشرية، لا نستطيع أن نقف عند تلك الأبعاد الشمولية التي تحملها الآيات القرآنية بصورةٍ دقيقة.

لذا جاء هذا البحث يحمل بين طياته التعريف بالوحي القرآني، ومعاني الهداية الربانية، ضمن لغة العقل والرمز، في عمليةٍ تحليليةٍ، مستمدةٍ من نفس النص القرآني.

المبحث الأول

التمهيد:

الأساس في اللغة والإصطلاح:

الأسس لغة:

جمع أساس، و(الأساس لأصل البناء، وجمع الاساس أسس[١] ، وهذه المادة من الهمزة والسين تدل على الأصل والشيء الوطيد الثابت [٢]، فالأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والأسس مقصور منه وقد أسَّست البناء تأسيسًا. وأسَّ البناء يؤسه أسًا ، وأسَّسه تأسيسًا ، وأسَّست دارًا إذا بنيت حدودها و رفعت من قواعدها[٣] ، فالأس ما يبتنى عليه

أما ما ذكر من تسويةٍ بين القاعدة والأصل والأساس ، و إنما أخذ على عمومياته ، مما دعا أبا هلال العسكري لبيان الفروق بين مدلولات هذه الألفاظ[٤] وعلى كل حال فالأسس لغةً ما يُبتنى عليه الشيء بالجملة ، وهذا يصدق على الأمور المعنوية ، فهي في كل شيءٍ بحسبه، ومنه قوله تعالى : {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى}[٥]، وقوله تعالى : {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} [٦]، وفي هاتين الآيتين شاهدٌ على صدق الأساس على الأمر الحسي و الأمر المعنوي ، فالبناء على التقوى معنويٌ والمشبَّه به وهو البناء على جرفٍ هارٍ أمرٌ حسيٌّ و في كلا الحالتين يعتمد عليه البناء إذ (على قدر الأساس يكون البناء)[٧] وهو متقدِّمٌ عليه زمنًا ورتبةً ، ولذا (يقال الأساس أولًا ثم البناء[٨]. ومن دلالات هذه المادة و استعمالاتها يمكن أن ينشأ

الاصطلاح:

ب – الأسس اصطلاحًا:

قلما يُطلق على ضوابط التفسير مصطلح الأسس بقدر ما أُطلق عليها : (أصول التفسير) أو (قواعد التفسير) ، مع أنه علمٌ مستقلٌ ما زال في طور جمع الشتات لتضمه المدونات ، كما أن كلمة (أسس) وإن أُطلقت في غير هذا المورد إلا أنها لم تحفظ بتعريفٍ اصطلاحيٍّ بعد الإضافة والتركيب ، فلا يكاد يجد الباحث تعريفًا اصطلاحيًّا للأسس ولعل مرجع ذلك يعود للاكتفاء بالمعنى الدلالي اللغوي ، الذي يطابق المعنى الاصطلاحي أحيانًا ، إلا أن البحث يرى ذلك غير كافٍ ؛لأن المعنى اللغوي عام و إن الاكتفاء بالمعنى العام أنتج التداخل في الدلالة بين الأسس وبين مصطلحي القواعد والأصول الذين استهلكا في علوم الشريعة من شدة الابتذال ، فوقع الخلط في الدلالة لدى الاستعمال .

فاستعمل مصطلح القاعدة في النحو ، وفي الفقه و أصوله و الحديث و رجاله وتجويد القرآن الكريم ، كما استعمل مصطلح الأصل فيها وتختلف الدلالة من مجالٍ لأخر أو من مذهبٍ لآخر ، بل من عالمٍ لآخر أحيانًا ، فيراد به أمرًا كليًّا تارةً كالقاعدة الأصولية وكليًّا إضافيًّا أخرى ، كالأطلاق الفقهية ، أو أخص من ذلك كالقاعدة الرجالية أو بلحاظ أمرٍ آخر كإطلاق الأصول في مقابل الفروع ، أو لما هو المرتكز المطرد الذي يفهم من الحكم العام أو المطلق ، كما إذا شك في دخول فردٍ أو انطباقٍ على مصداق ، قيل أن الأصل فيه كذا أو القاعدة فيه كذا ، وكما يُطلق الأصل أيضًا على الكتاب كما يقال (أصل فلان) إلى غير ذلك من الإطلاقات .

أما الأساس فلم يصل تلك الدرجة من الابتذال، بل هو من العزة الاستعمالية – كاصطلاح – في العلوم القرآنية بمكان.

وعلى كل حال فالقاعدة تستند إلى الأسس في وجودها، والأصل قد يكون منشأً لما يتولد عنه .

أما الأساس فهو الأرضية التي تبتنى عليها القواعد ، و إطلاقه شاملٌ للأمور الحسية والمعنوية ، كما في بيان المعنى اللغوي ، والأساس منه التعريف إذ المعنوية ؛لأنه يعني عليها بعد تقييده بما يتركب منه التعريف ، إذ هو الأرضية المعرفية التي تبتنى عليها حركة الفكر أو المنظومة الفكرية التي تهدف إلى الوصول إلى نتائج حقيقيةٍ ، أو النتيجة القصوى من حيث ملامسة الحقيقة أو مقاربتها والحاجة إلى الأساس ضرورةٌ ، سواءً في الأمور المعنوية أو الحسية ، إذ إنهما عبارةٌ عن بناءٍ و لا شك أن (علو البنيان على قدر توثيق الأساس وأحكامه و متى كان الأساس وثيقًا حمل البنيان واعتلى عليه ، وإذا تهدَّم شيءٌ من البنيان سهل تداركه ، وإذا كان الأساس غير وثيقٍ لم يرتفع البنيان ولم يثبت ، وإذا تهدَّم شيءٌ من الأساس رصينٌ سقط البنيان أو كاد)[٩] وكذا كل منظومةٍ فكريةٍ ما لم تُبتنَ على أساسٍ رصينٍ تهاوت

أو كادت ، فأساس كل شيءٍ فكرةٌ ، أساسها الخبرة العلمية والعملية وقبولها العامة التي لا غنًى عنها للناشئ .

يخلص البحث إلى أن الأساس: مجموع ما تتقوم به الأرضية التي تبتنى عليها أي قاعدةٍ من الأمور الحسية والمعنوية، كما تنتظم هذه الأسس في قالب يتمثل بالمنهجية.

تعريف النص والنص الديني:

يراد من كلمة (نص) في اللغة معنيين:

١. صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف.
٢. النص ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا، أو لا يحتمل التأويل، ومنه قولهم: لا اجتهاد مع النص والجمع نصوص.(١٠)

أما النص عند الأصوليين:

١. الكتاب والسنة، والنص من الشيء منتهاه ومبلغ أقصاه يقال بلغ الشيء نصه.

الفرق بين النص والخطاب الديني في الفكر المعاصر، فالنص هو السلطة الخبرية التي تلزم الناس أن يرجعوا إليها، وفي كثيرٍ من الأحيان يقصر على القرآن.

أما الخطاب الديني فهو طرائق تبليغ المنظومة الدينية و وسائلها، وكيفية التعبير عنها.

المبحث الثاني: الأسس العامة لفهم النص القرآني:

نريد بالأسس العامة لفهم القرآن الكريم هي تلك الأصول التي لا يتيسر حصول فهمٍ صائبٍ وشاملٍ وكاملٍ لكتاب الوحي الإلهي من دون ملاحظة اللوازم المترتبة عنها و إدراكها، وبالإمكان التعبير عنها بالأسس الكلامية للتفسير أيضًا.

إن إدراك كلً نصٍ مرهونٌ بملاحظة العوامل والمتغيرات المؤثرة في ظاهرة الفهم، من قبيل (خصائص المتن) و(العناصر المؤلفة لهوية المتن) كذلك (العناصر المساعدة على فهم المتن)

بل ربما يفهم المعنى المراد منها في ضوء هوية الشخص المستعمل لمعانيها، وما البيئة التي يعيش فيها ومدى العوامل المؤثرة في هذا الفهم. مع الوقوف على تأثير العامل السياقي والدلالات اللفظية والمعنائية في ذلك.

بالإضافة إلى صفات الماتن، وعناصر وهوية المتن، تؤثر عناصر أخرى كالمنطق والمنهج المنتخب للفهم (وميزات الفاهم وصفاته، والصفات النفسية المتوفرة في المفسر.

كذلك في الإطار القرآني نجد أن كل ميزةٍ من مميزات هوية القرآن تعد (أساسًا موجهًا) لفهم الوحي.

لذا لا بد من معرفة تلك الميزات التي لها الأثر الواضح والبالغ في فهم النص القرآني.

لذا سنتعرض لتلك الأسس بصورةٍ مختصرةٍ وهي:

الأساس الأول: القرآن وحي الله تعالى:

يتصف مضمون القرآن بصفته وحيًا من عند الله، قال تعالى : (إن هو الا وحيٌ يوحى علَّمه شديد القُوى)[١١] فما اجتمع بين الدفتين باسم القرآن، وكان بين يدي المسلمين منذ صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر قد جاء من عنده تعالى، و على الرغم من إسهام بعض الحوادث والظروف في تكوين مضامين الآيات ونزولها، كأسباب النزول فإن الموجود من اللفظ والمعنى هو ما ورائيّ و غيبيٌّ بالكامل، و لم يكن لعقل النبي (ص) ومتباياناته الفكرية، أو ثقافة عصره أو سائر العوامل أي أثرٍ في الهوية و الجوهر غير الورائي و الغيبي للقرآن. [١٢]

كما أن عناصر أخرى تدخل في فهم النص القرآني لكن بلحاظٍ القدسية منها.

أ- قدسية النص القرآني

ب- فو بشرية، واعجاز المتن والمحتوى

ت- عصمة المقولات القرآنية وعدم قبولها للخطأ.

كل هذه تعد من لوازم كون القرآن وحيًا من الله تعالى نزل به الملك الكريم على قلب النبي الخاتم (ص) هذا ما بيَّنته مجموعةٌ من الآيات المباركة، منها:

١. قوله تعالى (نزل به الروح الأمين)[١٣] أي جبرائيل (ع) وقيل ملكٌ أعظم من جبرائيل على بعض الروايات.
٢. قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به- إن علينا جمعه وقرآنه – ثم إن علينا بيانه)[١٤]
٣. قوله تعالى (و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه* وقل ربي زدني علماً)[١٥]
٤. قوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[١٦] ومنها آياتٌ قرآنيةٌ مؤيدةٌ لذلك و إن اختلفت في مضامينها الموضوعية.

ومنها الآيات المؤيدة لإعجاز القرآن :

١. **قوله تعالى(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين *** [١٧]
٢. قوله تعالى**(أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين * أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون *أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون *أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون)**[١٨]

٣. قوله تعالى **(أم يقولون افتراه قل فأتو بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)**[١٩]

٤. قوله تعالى **(قل لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً)**[٢٠]

٥. قوله تعالى **(افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)**[٢١]

كما نستطيع إثبات كون القرآن وحيًا بأدلةٍ و مؤيداتٍ، عدة منها: بناء على مدعى القرآن الكريم، إذ بشَّر الأنبياء ومن خلال الكتب السماوية السابقة خصوصًا التوراة والإنجيل، بظهور النبي الخاتم (ص) ونزول القرآن، قال تعالى:(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل)[٢٢] ولم ينكر اليهود والنصارى هذا أبدًا، بل سعوا بدلًا من ذلك إلى إقناع النبي و ثنيه عن عزمه بأمورٍ شتى بالتفاوض مرةً و أخرى بإثارة الحروب و النزاعات.

كذلك من الادلة على كون القرآن وحيًا إعجازيًّا من مختلف الجهات، نجد التحدي الحاصل حول إعجازه من الجهات جميعها ومنها الجهة البيانية والأدبية والفنية، والعلمية، والأحكام الشرعية، والدقة في طرح المعارف العلمية، والأنباء عن الماضي، والإخبار الغيبي، والنبوءات التاريخية، ومن هذا المنطلق فقد تحدى المدعين المنافسين، ومنكري وحيانيته و أحقيته.

كذلك في سبيل إثبات الطبيعة الماورائية للقرآن الكريم، هي التمسك باختلاف القرآن وسياقه البياني والمعنوي عن أسلوب المدارس البشرية قبله وبعده وسياقها.

ملازمات الموجه الأول:

إن من ملازمات الموجه الأول، أي كون القرآن وحيًا ربانيًّا من عند الله تعالى ، أمور عدة منها :

١. واقعية المقولات القرآنية، إذ لا تنسجم عدم الواقعية مع عدم قبوله للخطأ، لذا قال تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق)[٢٣]
٢. مرجعية القرآن الكريم ولزوم اتباعه. قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء)[٢٤]
٣. تقدُّم الدلالة القرآنية على سائر الحجج الدينية نظرًا لعصمة القرآن عن أي خطأٍ و انحراف
٤. تقدُّم السنة الصحيحة في فهم النص القرآني كون النبي(ص) معصومًا عن الزلل، ونص القرآن الكريم..
٥. كذلك لزوم التقيد بالقواعد والضوابط الخاصة في فهم القرآن، إضافةً إلى القواعد العامة في فهم النصوص العقلانية.
٦. الابتعاد من التفسير بالرأي في فهم النص القرآني كونه من المبادئ الشخصية للفهم.

الأساس الثاني: القرآن كتاب الهدى والهداية:

تعريف الهداية لغةً: هي الإرشاد والدّلالة والوصول إلى المطلوب.[٢٥] تعريف الهداية اصطلاحًا: تعدُّد أنواع الهداية؛ فمنها: الهداية التكونية، والهداية التشريعية، وهي على أنواع: هداية الدّلالة، وهداية التأييد والتوفيق؛ فهداية الدّلالة هي الهداية التي يقوم بها الرُّسل –عليهم السّلام– وأتباعهم من الدّعاة إلى الله تعالى، إذْ يرشدون النّاس إلى الطريق الصحيح الذي يُرضي الله –تعالى– عنهم وينجِّيهم يوم القيامة من عذابه، و لا يملك الرّسل والدعاة نتائج الهداية، فيبذلون جهدهم بقدر ما يستطيعون وتبقى النتائج بيد الله وحده؛ إذ قال: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين)، [٢٦] وفي اللغة أيضًا هو الإرشاد بسبيلٍ صحيحٍ ولفظ الهدى والهداية في الأصل بمعنًى واحدٍ لكن كلمة (الهدى) تُستعمل في القرآن لإفادة معنى الهداية الإلهية، قال تعالى : (إن هدى الله هو الهدى)[٢٧]

وربما تُطلق الهداية على سير الخلق وصيرورتهم باتجاه الكمال المنشود والمطلوب الوصول من قبل المخلوق نحو الكمال المطلق وهو الباري تعالى.

خصائص الهداية في القرآن:

تشتمل الهداية القرآنية على خصائص عدة منها:

أ. **إنها هداية عامة:**

أي إنها تنتظم الأنس والجن في كل عصرٍ و مِصْرٍ، وفي كل زمانٍ ومكان، قال تعالى: (**وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**)[٢٨] ومنها (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**)[٢٩] مع بيان آياتٍ أخرى لهذا الموضوع.

ب. **إنها هداية تامة:**

تمام هذه الهداية:[٣٠] إنها احتوت أرقى و أوفى ما عرفت البشرية وعرف التأريخ من هدايات الله والناس، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف انواعها. قال تعالى : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)**[٣١] والهداية بهذا اللحاظ صوَّرها القرآن الكريم على أقسامٍ عدة منها:

١. **الهداية التكوينية:** المقصود بها تلك الغرائز والطباع المودعة في الطبيعة. وهو ما أشارت إليه آيات عدة منها: قوله تعالى **(قال ربنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى)**[٣٢] وقوله تعالى **(و أوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتًا)**[٣٣]

٢. **الهداية الفطرية:** الهداية النابعة من الفطرة الملكوتية للمخلوقات المكلفة، وهي ما بيَّنه قوله تعالى : **(ونفسٍ وما سواها فألهماها فجورها وتقواها)**[٣٤]

٣. **الهداية العقلية:** تتحقق بسلوك طريق العلم والمعرفة، والعيش بمساعدة العقل غير المشوب، وقد تم الحديث في مجموعةٍ من الآيات القرآنية منها قوله تعالى : **(أ فلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)**[٣٥]

٤. **هداية الوحي:** الوحي لغةً هو الإعلام في خفاء [٣٦] ويحدث هذا النوع من الإيحاء نتيجة الالتزام بما أراده الله تعالى في تشريعاته المنزلة عن طريق الوحي، وهو الالتزام الكلي بإرشادات الأنبياء المنزلة عليهم هو ما بيَّنه القرآن الكريم وصرَّح بها في بعض آياته. منها قوله تعالى : **(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات)**[٣٧]

وقوله تعالى : **(**وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا**)**[٣٨] وقوله تعالى : **(** و إنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم**)**[٣٩]

٥. **الهداية الإفاضية،** مرادنا منها هو الهداية المضاعفة والمكملة للهدايات السابقة التي يحظى بها المهتدي بعد قبول مراتب الهداية السابقة، ولا سيما الهداية الوحيانية، والآيات التي تشير إلى ذلك منها **(الذين اهتدوا زدناهم هدى)**[٤٠] وقوله تعالى ،:**(ومن يؤمن بالله يهدي قلبه)**[٤١] وقوله تعالى : **(ويزيد الله الذين اهتدوا هدى)**[٤٢]

٦. **الهداية الإشراقية:** هذا النوع من الهداية يُطلق على الإلهامات الباطنية والإشراقات العرفانية التي يحصل عليها الإنسان جراء الأعمال العبادية و الرياضات الروحية في بعض الأحيان. قال تعالى : **(و أوحينا الى أم موسى أن أرضعيه)**[٤٣]

فمن الطبيعي أن يكون القرآن واسطةً للهداية الإفاضية لدى أفرادٍ معينين يتمتعون بمؤهلاتٍ وجوديةٍ ومراتب أخلاقيةٍ عليا.

من المؤيدات لهذا القسم من غير البحث النقلي، نجد أن القرآن الكريم هو المستند الأساس للنبوة والمشتمل على تعاليم ما جاء به النبي(ص) من أحكامٍ شرعيةٍ ومباني عقائدية، فإن لم يكن هاديًا ستخلُ يد الرسول من الحجة وتصبح الرسالة بلا فائدةٍ تذكر.

كذلك عبَّر الله تعالى عن القرآن بأنه كتاب هدًى و هدايةٍ، و وصفه بأوصافٍ عديدةٍ من قبيل البرهان النور، النور، البيِّنة، الهدى، الفرقان، القول الفصل، المبين، البصائر، فجميع هذه الآيات دلَّت على كون القرآن كتاب هداية **(إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)**[٤٤]

الأساس الثالث: استخدام العقل في فهم النص القرآني.

تُستخدم كلمة (عقل) في الفلسفة وفي غيرها من العلوم في معانٍ عدة، وأكثرها رواجًا هو القوة التي يستطيع بها الإنسان التمييز بين الحسن والقبيح، وبها يعرف الفرق بين الحفرة والبئر، وقد ذكر صدر المتألهين الشيرازي (٩٧٩ – ١٠٥٠ق) ستة معانٍ لهذه الكلمة، وهي مشتركٌ لفظيٌّ بين المعاني التي تُستعمل فيها[٤٥]

المراد من محورية العقل في فهم النص القرآني أي أن القرآن الكريم استخدم بنية و سياق عقلي عام في مضامين آياته المباركة. هو ما بيَّنته الآيات الواردة فيه منها قوله تعالى : (هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)[٤٦] وكذلك ما بَّينته الآيات الأخرى من وجوب التعقل والتفكر والتدبر في النص القرآني.

ضمن هذا الإطار نجد هناك مجموعةً من النظريات الواردة لبيان الاتجاه العقلاني وأثره في فهم النص القرآني.

١. **الاتجاه الوضعي:**

يذهب أتباع هذا الاتجاه في تبيين هذه النظرية إلى ثلاثة متبنيات هي:

أ. إن الوجود بكامله منحصرٌ بالوجود المادي، فلا وجود لموجودٍ خارج إطار المادة.

ب. إن اختبار صحة المعلومات من عدمها إنما هو منحصرٌ بصورةٍ أساسٍ بالمنهج التجريبي لا غير.

ت. المقولات الدينية والفلسفية و الأخلاقية والعرفانية لا قابلية لها للاختبار التجريبي.

لكن مع غض النظر عن صحة هذه المقولات من عدمها يبقى باب النقد مفتوحًا للوقوف على معالجة المقولات الفلسفية ومدى موافقتها مع الهدف العام لنزول النص القرآني وقراءته قراءةً صحيحةً، مما يجعله نصًّا متحركًا ويجعل الأساس العقلاني ممهدًا لمعرفة النص القرآني و فهمه.

٢. **الاتجاه الوظيفي:** يشتمل هذا الاتجاه على آراءٍ ونظرياتٍ متنوعةٍ، وجه الاشتراك بينهما هو تأكيد وظيفة لغة الدين، ولو من دون واقعيةٍ وحكايةٍ، قد برزت النزعة الوظيفية في لغة الدين تحت تأثير بعض العوامل التي ادَّت إلى ظهور الاعتقاد بنظرية لغة الدين

وهذا الافتراض قائمٌ على العلة أكثر من كونه مبنيًا على الدليل، وتبقى هذه الفكرة على كونها افتراضًا قائمًا على الجدلية المنطقية للوجود لا غير. فوجود الإنسان والبداهة العقلانية شاهدان على أن لغة الدين هي لغةٌ واقعيةٌ، و لولا وجود الواقعية لما آمن المؤمنون بالمسائل الدينية التي طرحها القرآن الكريم، وملتزمون بالقرار إن بعض هذه المسائل قابلةٌ للاختبار بطرائق مختلفة.

٣. الاتجاه الرمزي:

ترادف كلمة (الرمز) في اللغة الأوروبية كلمة(symbol)[٤٧] وهي تأتي بمعاني الإشارة والإيماء والعلامة والمعنى الباطني والمؤشر الخاص و....[٤٨]

ويدل الرمز وفقًا ،لأعم معانيه على الأمر الذي يبرز معنى وراء ما ينكشف من ظاهره[٤٩]

يُمثِّل الاعتماد على الظهور ركنًا مهمًا في قراءة النص الديني واستكناه معناه لدى عقلاء البشر كافة، فالبناء العقلائي مستقرٌ على الأخذ بالظواهر الكتابية أو الشفاهية، والناس يتخاطبون ويتحاورون ويحاجّ بعضهم بعضًا وفق ما يظهر لهم من الكلام، وكذلك يقرأون الوصايا والتقارير والوثائق في ضوء ذلك، والله سبحانه هو سيد العقلاء لم يخترع طريقةً خاصةً يخاطب بها خلقه، وإنما كلَّمهم باللغة التي يفهمونها ويتخاطبون بها نفسها، ولا يكاد يختلف في ذلك اثنان من علماء المسلمين، و لذا فسَّروا كلام الله على أساس ما يستظهرونه منه، و بنوا منظومتهم التشريعية والفكرية على هذا الأساس، نعم ثمة تحفُّظٌ لدى بعضهم حول حجية الظهور في خصوص القضايا الاعتقادية كونها تتطلب أدلةً وبراهين يقينيةً وهو ما لا يوفره الظهور، و إن كان يمكن تجاوز هذا التحفُّظ بافتراض أنّ غالب الظهورات العقدية . بسبب تضافرها . تفيد الاطمئنان، إن لم تكن مفيدةً لليقين .

إلاّ أنّ هناك من رفض الاعتماد على مبدأ الظهور في النصوص الدينية لا لظنيته، بل لأن الظهور حتى لو كان قطعيًا فهو غير مراد لقائله، وإنما هو مجرد إشاراتٍ رمزيةٍ إلى معانٍ أخرى بعيدةٍ من حرفية النص.

ربما نستطيع الاستدلال على هذا الاتجاه (الرمزي) من خلال الوقوف على ما ورد في النص القرآني من آياتٍ تُعرف مضامينها من خلال الدخول بهذا الاتجاه التأويلي.

قال تعالى : (و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله، إن الله واسعٌ عليم)[٥٠]

وقوله تعالى (إنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولا)[٥١]

الأساس الرابع: فطرية التعاليم القرآنية:

إن المقصود من كون بعض المفاهيم الحصولية والقضايا الذهنية فطريةٌ هو كونها غير مكتسبةٍ، أي أن الذهن البشري حينما يصل إلى هذه المرحلة من الإدراك يفهم بعض المفاهيم بمجرد التفاتٍ يسيرٍ، ولا يحتاج في فهمها إلى عناء.[٥٢]

بناءً على هذا فالفطري وغير الفطري مساوٍ للبدهي وغير البدهي – اي الكسبي –كما هو صريحٌ في تعبيرات بعض الأعاظم.[٥٣]

إن المراد من فطرية المعارف القرآنية، هو تناغم تعاليم القرآن الكريم وتشريعاته مع ما يحمله الإنسان من علومٍ غريزيةٍ فطريةٍ، ليس للبشر فقط فحسب بل كثيرٌ من الأحياء الأخرى التي تولد من أمهاتها ولديها حصيلةٌ من العلوم والمعارف الفطرية والغريزية، العلوم التي لم يكن ثمّة معلمٌ يعلمها وليست وليدة التجربة والاختبار، بل إنّ المعلم الأول هو الذي أودعها منذ البداية في عمق وجود الإنسان وسائر الحيوانات بطريقةٍ تثير العجب والذهول.

إنّ دراسة هذه العلوم والمعارف والهداية الفطرية والغريزية تُعد آياتٍ ودلائل على عظمة اللّه وعلامةً بَيّنةً لعلمه وقدرته. ولأثبات فطرية المعارف القرآنية يمكن الوقوف على معاني الآيات الآتية :

١- (قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)[٥٤]

٢- (أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانَاً وَشَفَتَيْنِ* وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)[٥٥].

٣- (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْوَاهَا).[٥٦]

٤- (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيْنِ حَنِيْفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[٥٧].

لذلك نجد أن القرآن الكريم يخاطب الناس لكي يقروا ومن خلال الرجوع إلى ضمائرهم بالحقائق الدينية، كما في قوله تعالى(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[٥٨] وقوله تعالى(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)[٥٩]

خاتمة البحث:

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث نقف عند هذه الخاتمة التي بيَّنا فيها النتائج الآتية .

١. إن القرآن الكريم كونه نصًّا إلهيًّا يحتاج إلى مقدماتٍ و أُسسٍ تبيِّن المعاني السامية الكامنة وراء اللفظ،

٢. إن هذه (الأسس) تُقرأ مرةً من داخل النص لقرآني و أخرى من خارجه قرائن يُفهم من خلالها المفاد العام والخاص في عبارات هذا النص المبارك،

٣. لا بد للمفسر من الوقوف على المعاني اللغوية للكلمة القرآنية حتى يصل للمراد الجدي لله تعالى

٤. أن يعمل على فهم هذه الأسس والعمل بموجبها وذلك بكون القرآن وحي الله تعالى.

٥- إن القرآن الكريم كتاب الهدى والهداية، فهو من يقود البشرية إلى التكامل الحقيقي

٦- إن هناك أثرًا للعقل في إدراك النص القرآني و فهمه، كذلك فطرية التعاليم القرآنية، لها أثرٌ بالغٌ أيضًا. وجميعها يؤخذ بها أساسًا كليًّا في معرفة مفاد القرآن الكريم.

الهوامش:

١ . الأزهري، تهذيب اللغة، ١٣ /٩٦.

٢ . ابن فارس – معجم مقاييس اللغة، ١٤/١.

٣ . الجوهري –الصحاح: ٩٠٣/٣.

٤ . الفروق اللغوية: ٥١.

٥ . التوبة/ ١٠٨

٦ . التوبة، ١٠٩

٧ . خالد بن عثمان السبت –قواعد التفسير: ٢٢/١.

٨ . ابو هلال العسكري –بحث على طلب العلم: ٤٩/١.

٩ . الراغب –المفردات في غريب القرآن : ٣٢/١. عبد الرؤوف المناوي –التوقيف على مهمات التعريف : ١٠٣/١.

١٠ . معنى النص في قاموس المعجم الوسيط ،اللغة العربية المعاصر ،الرائد ،لسان العرب ،القاموس المحيط.

١١ . النجم، ٥/٤

١٢ . علي أكبر رشاد، فلسفة الدين، ص١٠٨

١٣ . الشعراء، ١٩٣

١٤ . القيامة – ١٦

١٥ . طه ،١١٤

١٦ .يوسف ٣

١٧ . البقرة ،٢٣–٢٤

١٨ . الطور، ٣٣، ٣٤

١٩ . يونس، ٣٨

٢٠ . الإسراء ، ٨٨

٢١ . النساء، ٨٢

٢٢ . الأعراف، ٧

٢٣ . الجاثية ٢٩

٢٤ . النحل /٨٩

٢٥ . ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ب١٧٥

٢٦ . القصص، ٥٦

٢٧ . البقرة ، ١٢٠

٢٨ . النعام، ١٩

٢٩ . سبأ، ٢٨

٣٠ . محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٢.

٣١ . البقرة، ١٧٢

٣٢ . طه، ٥٠

٣٣ . النحل ،٦٨

٣٤ . الشمس ، ٨

٣٥ . الحج ، ٤٦

٣٦ . ابن منظور ، لسان العرب، ج١٥، ٣٨١ مادة (وحي)

٣٧ . الأنبياء، ٧٣

٣٨ . السجدة، ٢٤

٣٩ . الشورى، ٥٢

٤٠ . محمد ،١٧

٤١ . التغابن ،١١

٤٢ . مريم ،٧٦

٤٣ . القصص، ٧

٤٤ . الإسراء،٩

٤٥ . ملا صدرا، شرح أصول الكافي، ج١، ص٢٢٢، انظر أيضًا، محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص ١٠٢،١٠١. اخذ من كتاب دراسات في علم الكلام الجديد، حسين يوسفيان، ٢٧٤

٤٦ . إبراهيم، ٥٢

٤٧ . أنظر بورنا مداريان، الرمز في القصة والأدب الفارسي ص٥، نقلًا عن كتاب منطق الخطاب القرآني، سعيد روشنن ص١٢٢.

٤٨ . ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص، ٣٥٧ ومشيري، القاموس الألف باء القياسي، ذيل مدخل كلمة (رمز).

٤٩ . نقلًا عن منطق الخطاب القرآني ، سعيد روشن ،ص٢٢.

٥٠ . البقرة، ١١٥

٥١ . الأحزاب ،٧٢

٥٢ . جواد آملي، نظرية المعرفة في القرآن، ص٣٨.

٥٣ . قطب الدين الشيرازي، شرح حكمة الإشراق، ص٥٠ –٥١

٥٤ . طه، ٥٠

٥٥ . البلد، ٨– ١٠

٥٦ . الشمس ،٨

٥٧ . الروم ،٣٠

٥٨ . إبراهيم، ١٠

٥٩ . الزمر ،٣٨

مصادر البحث :

١. القرآن الكريم

٢. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار ابن كثير، مصر، القاهرة/ ط١، ١٩٨٨.

٣. لسان العرب، ابن منظور، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٥

٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت لبنان،

٥. فلسفة الدين، علي أكبر رشاد، منشورات توحيد، إيران، طهران ط١

٦. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد زغلول النجار، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان

٧. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الدار البيضاء، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٧.

٨. نظرية المعرفة في القرآن، جواد آملي، مؤسسة الإسراء للطباعة والنشر، إيران، فم.

٩. شرح حكمة الإشراق، قطب الدين الشيرازي، دار فراقد، للطباعة والنشر، إيران، طهران.

١٠. كتاب منطق الخطاب القرآني، سعيد روشن، مركز الحضارة، لبنان، بيروت، ط١. ٢٠٠٧

١١. تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١.

١٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٩

١٣. قواعد التفسير ، خادل بن عثمان، **مطبعة** ابن كثير، ط٢، ٢٠٠٥